مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: استخدام الفضاء الالكتروني وتأثيره في العلاقات الدولية "الشرق الأوسط" أنموذجاً
اسم الكاتب: أ.د. حميد حمد السعدون
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/7066
تاريخ الاسترداد: 2026/06/09 17:17 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

استخدام الفضاء الالكتروني وتأثيره في العلاقات الدولية " الشرق الاوسط " انموذجاً

أ. د.
حميد حمد السعدون(*)
Hhalsadoon@ yahoo.com

الملخص :

الفضاء الالكتروني احد الأشكال الجديدة لمفهوم القوة والتعبير عن مفرداتها بما يمكن المقتدر فيه من استخدامه في علاقاته الدولية بطريقة تضمن مصالحه وأمنه القومي، ويجعله احد الفاعلين الأساسيين في مجتمع الدول الصراعي، لاسيما وان هذا الشكل بتقنياته العالية غير متوفر عند جميع الفاعلين وهذا ما يعطي ارجحية لمن هو متمكن منه، والفضاء الالكتروني، معرفة، والمعرفة باتت في الوقت الحاضر تعبيراً واضحاً وصريحاً عن إمكانات القوة.

المقدمة

يعيش العالم اليوم سباقاً دائماً ومتواصلاً مع الجديد من العلم والمعرفة وبطريقة تكاد تكون انفجارية ، لاسيما وان العلم لم يعد له حدود أو نهايات محددة يقف عندها الانسان ويعدها المثابة الاخيرة . فالجديد والمبتكر من انواع العلم والمعرفة ، باتت حالة يومية بامكانها ان تقدم لحياة الناس الشيء الكثير الذي يستطيع ان يوظفه بما يلائم حياته والطرق والاساليب الميسرة التي تمكنه من التعامل مع التحديات الحياتية والزمانية التي تواجهه ، متطلعاً من خلال تصديه لتلك المصاعب بتوظيف ما تحت يديه من علم ومعرفة ، لسعادة وامن ورفاهية المجتمع الذي يعيش فيه . والانسان وهذا ماتوضحه كل الديانات السماوية ، ارقى ابداعات الله وخليفته في ارضه ومنفذ غايته في السعادة والأمن والايمان ، يحث الخطى دوماً نحو الافضل بما يجعله

(*) مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية/ جامعة بغداد .

يجتهد الى مقاربة الخالق سبحانه وتعالى في رقيه وعلاه ، متكئاً ومستنداً إلى ارث من سبقوه من اجيال العلماء والمعرفيين الذين سعوا لترجمة كلمة الله في اجمل واحلى صورها ، دون ان ننسى ان الحياة ومستجداتها في تبدل دائم ، وهذا مايستوجب منه بذل الجهد المتوازي والارادة الالهية .

وجديد العلم اليوم ، مايطلق عليه الفضاء الالكتروني او السماوات المفتوحة ، ولأن هذا الجديد والمذهل له اكثر من استخدام ، فقد باتت استخدامات من يتملكه ويتحكم فيه ، شراً كان ام خيراً حالة يومية . ولأن عالمنا المعاصر كما يصفه " شون لاي " رئيس الوزراء الصيني الاشهر محكوم " بفوضى في كل شيء" فقد باتت قدرات التملك لهذا العلم ، تتجه في الاغلب نحو ايقاع الاذى بالآخر ، ولأن الانسان وهذا مايؤسف له ، يتعلم من افعال الشر والايذاء للمقابل اكثر من افعال الخير والسلام . ولذلك اصبحت تقنيات الفضاء الالكتروني في الوقت الحاضر ، ملمح من ملامح القوة التي يمتلكها طرف دون آخر ، وبما يمكنه من فرض ارادته وفقاً لمصالحه واولوياته . وهذا البحث قراءة استقرائية ذات منحى تطبيقي لما يحصل في استخدامات هذا العلم بين من يمتلك ناصيته وبين من يحبو على الطريق فيه ،مما استوجب منا ان نطل على مايحصل فيه من خلال المحاور الاتية :

الاول: استكشاف اهمية الفضاء الالكتروني والمنافسات التي تحصلت في مجاله من اجل تنفيذ السياسات ذات الطبيعة الاستراتيجية.

والثاني : تأثيرات هذا العلم المتجدد في طبيعته على شكل ومسارات العلاقات الدولية وتنفيذها في البيئة الدولية الجديدة .

والثالث : التأثيرات والانعكاسات المتحصلة بين دول منطقة الشرق الاوسط وبين القوى النافذة في عالم السياسةالدولية .

المحور الأول : اهمية الفضاء الالكتروني :

يوم حلق القمر الصناعي السوفيتي "سبوتنيك" في تشرين الاول/اكتوبر ١٩٥٧ متجهاً نحو الفضاء ، فأنه دشن عصراً جديداً من العلم والتقدم والخيارات الافضل، للعلم وللحياة الانسانية، كونه فتح مسالكاً جديدة في الخيارات الانسانية وقدرتها على التعامل مع الجديد من العلم والمعرفة. فعصر "سبوتنيك" أرخ للعصر الانساني بين "قبل" و"بعد" مرحلته ازاء ما قدمه من

اسهامات جليلة للحياة البشرية، التي استطاعت توظيف الابتكارات والاختراعات بطريقة مفتوحة نحو الافضل، مع ماتضيفه التجربة من انتقالات نوعية نحو الاحسن .

وعالمنا اليوم يشهد اختراعات وابتكارات تكاد ان لاتلاحق الا من قبل الدول العظمى والكبرى لكثرتها ولتقنيتها المتطورة ، وهذا ما منحها ارجحية متميزة في التعامل مع الاخرين وعلى كافة الصعد. فالعلم والمعرفة في وقتنا الحاضر ليستا ترفاً فكرياً او استهلاكياً ، بقدر ماهما قوة . فمن يملك العلم والمعرفة، يملك القوة التي تمنحه القدرة المتميزة في التأثير على القضايا العالمية كافة، وقطعاً ان من يمتلك القوة التي توفرت بالعلم والمعرفة سيسعى في الوقت ذاته أن يميز مصالحه واهتماماته ويضعها في المقام الاول. عليه فأن المعرفة ليست ابتكاراً عالمياً جديداً فحسب، بل انها مفردات قوة لمن يمتلكها.

والفضاء الالكتروني، احد مخرجات المعلوماتية التي يتعامل بها المجتمع الدولي بكثافة في شكل التطبيقات التي تتحقق في التعامل بين الدول، لذلك فالمرور على مفهوم المعلوماتية، يشكل مدخلاً اساسياً للذهاب بعيداً في تلمس مايحققه الفضاء الالكتروني من تأثير في القرار السياسي سواء" على الخصم ام على الحياة الداخلية له.

المعلوماتية :

يعد هذا المفهوم من المفاهيم المعاصرة التي دخلت على حياة الانسان واستوجب التعامل معها، فهي مزيج من منظومتي الاتصال والحاسوب ليعطي ناتجاً معرفياً متكاملاً يوفر المعرفة ويسهل الوصول اليها باسرع وقت ممكن ، ويتعامل مع الذكاء البشري ليشكل ذكاءً مشتركاً بين الانسان وما صنع . ويدور هذا المصطلح في فضاء واسع ورحب من الحقول والتخصصات المتنوعة ويرتبط بابعاد وعلاقات ومداخل متباينة ، منها ماهو واضح ومرئي وملموس ، ومنها ماهو مؤثر وحيوي ، لكنه غير مرئي وهذا مايجعله مفهوما غير واضح [(١)] .

يولد هذا المصطلح انطباعاً بانه المعلومة والحوسبة "information and computing " قبل كل شيء، كما لايمكننا ان نتجاهل ان المعلوماتية هي حوسبة الكترونية للمعلومات، وبناء

[١] – **د. أزر ناجي الحساني، المعلوماتية واثرها على المركزية واللامركزية في ظل السلطة البيروقراطية، جامعة النهرين– بغداد ، مجلة قضايا سياسية ، العددان (٢٧ – ٢٨) السنة ٢٠١٢ ، ص : ١٨٨ .**

آلي لها ، ويراها البعض انها انتاج لقيمة مضافة عن طريق حوسبة البيانات في حالات تقنية وانشطة تطبيقية ومختلفة وعامة ، ومن ثم هي اوسع من كونها حوسبة للمعلومات او استخدام الحاسوب لانتاج المعلومات فقط [١].

ويعرف علم المعلوماتية ، على انه حقل من حقول المعرفة المتداخلة التخصصات ، يعنى بانتاج المعلومات وجمعها وخزنها واستخراجها ونشرها ، او تعميمها للمعرفة الموثقة ، كما انها تعني ملاحقة التغييرات والتطورات التي ابتكرها الانسان او تحقق من اكتشافها في العلم الحديث ، لاسيما وان الثورة المعلوماتية مع استحداث وتطوير اجهزة الحاسوب التي قلبت حياتنا وحولتها الى تطبيقات من خلال تجهيز الحاسبات والاجهزة الالكترونية الاخرى المسيطرة على العالم [٢] .

كما تعني الثورة المعلوماتية الوفرة في المعلومات وتراكمها بشكل سريع واتاحتها للاستعمال عبر اوعية المعلومات وأهمها الحاسبات الآلية [٣] . كما انها امتزاج بين الحاسوب وتقنيات الاتصالات ، كون ان تقانة المعلومات هي صناعة الالكترونيات الراسخة [٤] . والثورة المعلوماتية هي ذلك الانفجار المعرفي الضخم المتمثل بالكم الهائل من المعرفة في اشكال وتخصصات ملفات عديدة [٥] .

ازاء ذلك نجد ان الثورة المعلوماتية ، هي نتاج طبيعي يعبر عن مراحل التطور الحضاري والانساني والذي هو في الوقت ذاته ، مزج لمدخلات تمثلت في الثورات العلمية التي سبقته والتي تكون سلسلة مستمرة تكمل بعضها بعضاً لولادة مرحلة جديدة . مع تأكيدنا ان الثورة المعلوماتية ليست آخر ماوصل اليه الانسان في مسيرته المستمرة من البحث والتطوير ، بل ان الجديد قادم

---

[١] – سعد غالب ياسين ، المعلوماتية وادارة المعرفة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٢٦٠) لسنة ٢٠٠٦ ، بيروت ، ص: ٢٦ .

[2]– In formation Revolution , 18. 5. 2004 ينظر على الرابط www. Perial. Com lissues

[٣] –عبد الرحمن عبد الله الرهيان ، الامن والعولمة ، اكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية – الرياض ، مجلة الامن والحياة ، العدد(٩٣) لسنة ١٩٩٨، ص: ٤٩.

[٤] – د. ستار بدر سدخان ، اثر ثورة المعلومات والاتصالات في ظل العولمة على الاقتصاد العربي ، بيت الحكمة – بغداد ٢٠٠٢ ، ص : ٩٠ .

[٥] – د. محمود علم الدين ، ثورة المعلومات ووسائل الاتصال : التأثيرات السياسية لتكنولوجيا الاتصال ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (١٢٣) القاهرة ، ص : ١٠٢ .

لامحالة ، وهو مايجعل المجتمعات المختلفة في تحد دائم نحو التطور والانجاز الافضل اذا كانت راغبة في ان تكون جزءاً فاعلاً في الحياة والانشطة التي يقدمها العلم في كل لحظة . بل ان ذلك التطور يبدو اكثر اهمية في موضوع الامن القومي وصياغة الاستراتيجيات ، والتي باتت المجتمعات المتقدمة توليه الاهتمام والرعاية الاكثر اهتماما" ,كونه يشكل اساسا وضرورة لاستمرارية حياة مجتمعاتها .

الحرب الالكترونية :

ان توصيف الصراعات والصدامات القادمة بين المجتمعات المختلفة بانها حرب " الكترونية " يأتي منسجماً والتقدم المنجز في مجالات العلم والمعرفة التي تطوعها المجتمعات الاكثر قدرة ، ازاء خصومها ومنافسيها . فتوصيف هذا الامر بانه " حرب " امر له اكثر من دلالة ، لاسيما وان الصراعات المختلفة والمتعددة التي يشهدها العالم باتت قرينة في ظل الاستفراد الامريكي بالمسرح السياسي الدولي منذ تفكك وسقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ ، مع ما يقابله من نزوع انساني متعدد الجهات لتحجيم هذا الانفراد ، واذا امكن الغاؤه ، خدمة للمجتمع الانساني ازاء العدوانية والغطرسة والتكبر والانفراد الذي طبع مرحلة الاحادية القطبية " Unipolarity " التي تسود العالم منذ ذلك الوقت [1] .

فرغم تخفيف حدة القلق من تهديدات الجماعات " الارهابية ، بفضل جهود المخابرات والاجهزة الخاصة وازعاج هجمات الطائرات المسيرة ضد مقرات واوكار هؤلاء المسلحين ، لكن المخاوف من تعرض المجتمعات الغربية الى هجمات الكترونية قد ازدادت . ولذلك لايفوت القادة السياسيون والعسكريون فرصة للاعلان عن ان الحرب الالكترونية وشيكة الحدوث . فقد تحدث وزير الدفاع الامريكي السابق " ليون بانيتا " عن " بيرل هاربر الكتروني " بينما ذكرمسؤول امريكي آخر " ان هجوماً الكترونياً على امريكا سيجعل هجمات ١١ ايلول – ٢٠٠١ تبدو حفلة شاي ... وهي مسألة وقت لا أكثر " [2] .

---

[1] – د. حميد حمد السعدون " الفوضى الامريكية " دراسة في الافكار والسياسة الخارجية " العراق نموذجاً " ط١ ، دار ميزوبوتاميا . بغداد ٢٠١٣ ، ص : ١٨٩ .

[2]– **David farls , Dissent and Revolution in a digital Age : social media Blogging and Activism in Egypt , London: I.B.Tauris 2013, p: 127 .**

فالتقدم العلمي المتزايد في هذا الجانب مكن ان تؤدي نقرات على " الفأرة mouse " ان تفجر المصافي النفطية وتعطل شبكات الكهرباء او خداع مراقبي الحركة الجوية ، من خلال العدد المتزايد من هذه الهجمات المجهولة على مؤسسات الحكومة او الشركات ، ويعتقد ان هذه الهجمات قد توفرت لها تلك القدرة من خلال سرقتها او اختراقها اوتسللها لبرامج وخطط الشبكة الوطنية للاتصالات ، والتي تحققت من خلال جهد وتكاليف عالية الثمن على شكل ابحاث وتطوير .

علماً " ان الكثير من هذه الهجمات ذات طبيعة اجرامية بحته ، ولكن الهجمات الاكثر تعقيداً هي في الغالب نتاج دول ، وتنفذ اما بشكل مباشر او عن طريق وكلاء بحيث يصعب القاء اللوم على جهة معينة في ذلك .[1] وفي هذا النمط من الهجمات فان الصين هي المتهم الاول الى حد بعيد ، كونها توظف مهندسي البرامجيات الموهوبين وتغدق عليهم ، غايتها في ذلك اختراق الشبكات المعلوماتية لأهم الشركات التكنلوجية في العالم ، وهي في الغالب شركات امريكية ، للاطلاع على الجديد من الابحاث والابتكارات التي تتمكن من خلالها من تطوير قدراتها في كافة المجالات التي تخدم اهدافها الاستراتيجية[2] .

كما ان روسيا لم تتأخر في الانغماس في هذه الحرب الصامتة لاسيما وانها تتطلع الى استعادة دورها الدولي الذي كانت تضطلع به يوم كان الاتحاد السوفيتي قائماً ، وهذا مامنحها الاطلالة على مايخطط بالضد منها ، وتحديداً في مناطق نفوذها السابقة ، مما درأ عنها الكثير من المخاطر . ومؤخراً وتحديداً بعد عام ٢٠٠٩ فقد دخلت ايران على اللعبة ، بعد ان عانت ما عانته من هذه الهجمات اثناء وبعيد انتخابات ايران الرئاسية عام ٢٠٠٩ والتي جاءت بـ " محمود احمدي نجاد " رئيساً للبلاد . ويشتبه بان ايران كانت مصدراً لفايروس " شامون " الذي عطل الاف الحاسبات في شركة " ارامكو " السعودية وشركة " راس غاز " القطرية نهاية عام ٢٠١٢ .

---

١ – د. حميد حمد السعدون ، الحرب الالكترونية جبهة قتال جديدة بين ايران وخصومها ، اوراق دولية ، العدد (٢١٨) تشرين الأول ٢٠١٢ ، ص:٢.

2 **Jeffrey A.Bader , Obama and china Rise : An insiders Account of Americas Asia strategy , Washington DC: Bookings institution press 2012 , p: 94.**

على الجانب الآخر فان الولايات المتحدة وحلفاءها كانوا المبادرين في تدشين هذه الحرب ، اذ طورت فايروس " ستوكسنيت stuxnet " عام ٢٠١٠ والمصمم لتحطيم اجهزة الطرد المركزي في محطة "ناتناز" الايرانية لتخصيب اليورانيوم ، ثم اردفوه بفايروس " فليم Flem " الذي صمم لمهاجمة ايران عبر اصابة اجهزة الحاسوب في وزارة نفطها [١] غايتهم في ذلك تأخير البرنامج العلمي الايراني في هذا الجانب وارباكه وتشتيت جهده، مع مايصاحب ذلك من اختراق امني خطير في الحلقات المركزية للمؤسسات الايرانية ، وبما يجعلها مكشوفة امام الخصم المنافس .

ويقول احد مدراء شركة "ستونسوفت"الامنية للحاسبات ان "جميع الحكومات في الغرب تفتقر الى فهم ستراتيجي للحرب الالكترونية، ولذلك ورغم وفرة الاسئلة فان الاجوبة قليلة. لأنه ليس واضحاً حجم المعلومات الحساسة عن التهديدات او نقاط الضعف التي يجب على الدوائر الحكومية مشاركتها مع القطاع الخاص المهمة للأمن الوطني ... ٩٨% تقريباً من نقاط الضعف في برامج الكمبيوتر واسعة الانتشار والتي يستغلها القراصنة ، هي برامجيات مصنوعة في الولايات المتحدة الامريكية، ... مايثير الجدل في التوازن بين الدفاع والهجوم " [٢] .

ويعزز هذا الرأي مايشير اليه الجنرال "كيث الكسندر" رئيس قيادة الحرب الالكترونية في وكالة الأمن القومي الامريكية بالقول بأن "المهاجمين في الحرب الالكترونية لديهم الافضلية ..، كما ان تفوق الولايات المتحدة الامريكية في القدرات الهجومية الالكترونية على بقية دول العالم لاينعكس في الجانب الدفاعي حيث نالت دفاعاتها درجة (٣) من (١٠) .[٣] في حين تتحدث مؤسسة " راند Rand " للدراسات والابحاث بان " الحرب الالكترونية لايقف اذاها على الناس او تدمير المعدات مباشرة مع بعض الاستثناءات ، بل انها تتسبب بالارباك والتشوش والاحباط ، كون هذه الحرب تؤدي وظيفة مساندة لاشكال الحروب الاخرى[٤].

---

١ – حميد حمد السعدون ، الحرب الالكترونية ..... ، مصدر سابق ، ص : ٢ .

٢ – مقال في صحيفة " Economist " اللندنية والمنشور بعد ترجمته في صحيفة الصباح / بغداد تحت عنوان " الحرب الالكترونية تهديد وشيك " في ٨ – ٢ – ٢٠١٢ .

٣ – محمد ابورمان ، تنظيم القاعدة والانترنيت : تدشين الجيل الثالث من الجهاديين ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، العدد (١٨٠) ، ابريل ٢٠١٠، ص: ٨٦ – ٨٧ .

٤ – رفعت شميس، الصحافة الالكترونية والامن الثقافي والمعلوماتي، ينظر اليه على الموقع الالكتروني
// www. Dahsha. Com:

امام ذلك لابد ان نشير الى وجود اربع مخاوف الكترونية تؤدي دوراً اساسياً في هذه الحرب الصامتة وذات طبيعة تخادمية للهدف الاستراتيجي، وهي:

١. الحرب الالكترونية الاستراتيجية " وهي الهجمات المباشرة على البنى التحتية المدنية للخصم ".
٢. التجسس الالكتروني .
٣. الارهاب الالكتروني .
٤. التشويش الالكتروني على غرار هجمات الحرمان من الخدمات التي تتعرض لها المواقع الالكترونية للحكومة والمصارف ومؤسسات الماء والكهرباء ... الخ .[1]

ومع القبول بامكانية اطلاق الهجمات الالكترونية من اي مكان ، فمن الصعوبة بمكان تحديد الجهة المسؤولة عنها ، لأن ذلك يعتمد على السياق والدافع وتقييم القدرات والتكنولوجيا المستخدمة . وهذا احد الاسباب التي تدفع الدول المتلقية للهجمات الالكترونية الى الرد بالمثل ، في حين ان الدول التي تفتقر الى تلك الامكانيات لفقرها او تخلفها التقني ، قد تهاجم دولاً اخرى لاتمتلك انواع الاهداف المعرضة لهجوم الكتروني انتقامي ، ومثل ذلك قد يوضح شكل الهجمات المتبادلة وقدرتها على التأثير في المنافس وخططه لأن " الحرب القادمة ليست من نمط حروب العالم الصناعي التي اعتمدت على الحشد الهائل للقوات والاليات الميكانيكية والمدرعة ، وانما على الذكاء الصناعي لهذه القوات ، أي على الثورة العلمية لأجهزة المعلومات والاتصالات والعقول الالكترونية والاقمار الصناعية واجهزة الاستشعار والانذار المبكر "[2] .

وتزداد المصاعب اكثر في هذه الحرب الصامتة عندما يتعلق الأمر بالسرقة او تسريب البيانات والمعلومات ، وهو مايسمى بالتجسس الالكتروني ، حيث يعد نهب المؤسسات الغربية لاغراض البحث فائق التكنلوجيا والملكية الفكرية الاخرى هدفاً مغرياً لكثير من الدول ، وفي المقدمة منها الصين وروسيا. ففي عام ٢٠٠٩ سرق قراصنة من وكالة مخابرات اجنبية مايقدر

[1] – **M.G.Mulen , Jiont operations , Joint publications 1 , doctrine for the armed forces of the Ubited states, August 2011, p: 12 – 13** .
[2]– , **op.cit, p: 24**

ب"٢٤ " الف ملف سري من شركة "لوكهيد مارتن " الامريكية للصناعات العسكرية مما اتاح لهم من التجسس على الاجتماعات الرقمية والنقاشات التقنية ، وجمع معلومات عن المتحسسات وانظمة الكمبيوتر وتكنولوجيا التسلل للمقاتلة الامريكية " F35 "[١] . وقد تعقب المحققون عمليات الاختراق بدرجة عالية من الدقة وصولاً الى عناوين بروتوكولات انترنيت وبصمات رقمية صينية تم استخدامها لهجمات وقعت في الماضي ، وبعد اقل من سنتين على ذلك الاختراق كشفت الصين عن اولى مقاتلاتها المتسللة " G20 "[٢].

ان اكثر ماتتعرض له شبكة المعلومات والاتصالات الفائقة الدقة الغربية وتحديداً الامريكية منها، من هجمات "قرصنة" او "اختراق " او "تسلل" يأتي في معظمه – حسب الادعاء الامريكي – من قبل الصين، الأمر الذي دعا الولايات المتحدة الامريكية الى الاعلان عنه وبيان مخاطره المستقبلية ،كونه يتجه لقلب المعادلة الامنية والاقتصادية بين البلدين ، فضلاً عن نشاطه في سرقة اسرار التجارة والسلاح والتقنيات الدقيقة وكذلك المعلومات السرية المتعلقة بمجال الاعلام ، هذا غير مايشكله من مخاطر على الامن القومي الامريكي مما يؤزم مستقبل العلاقات الدولية ويدفعها نحو ولوج وسائل العنف والتدمير والاختراق المتبادل [٣] .

وازاء الانكار الصيني لتلك الوقائع ، فقد اتجه الطرفان لتنظيم مجموعة عمل بشأن الفضاء الالكتروني ، من خلال اللقاء المباشر بين الرئيس الامريكي – اوباما – والرئيس الصيني والذي جرى في واشنطن في منتصف مايس / ايار ٢٠١٣ كانت الغاية منه ، فك التداخل والاختراق والاشتباك الحاصل، بما يعيد للعلاقات بين البلدين طابعها السابق المتسم بالتعاون ، وهذا ما اشار اليه وزير الخارجية الامريكي " جون كيري بالقول" بأن امن الفضاء الالكتروني يؤثر على القطاع المالي وعلى البنوك وعلى التعاملات المالية ويتأثر كل جانب من جوانب الدول في

Roger N. Mcdermott, Russias conventional armed forces the Georgian war, spring 2009, p: 4-5 – [1]

[٢] – مقال صحيفة " **Economist** " مصدر سابق .

[٣] – جمال سند السويدي ،وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية من القبلية الى الفيسبوك ، ط١ ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابوظبي ٢٠١٣ ، ص : ١٠٨ .

العصور الحديثة بالفضاء الالكتروني الذي يربط وبشكل واضح بيننا . ولكل دولة مصلحة في حماية شعبها وحماية حقوقها وحماية بنيتها التحتية " [1] .

المحور الثاني :- تأثيرات الفضاء الالكتروني في العلاقات الدولية

تتأثر افعال وتحركات المكونات السياسية المعبر عنها بمفهوم الدولة ، في نشاطاتها المتعددة بالعديد من المتغيرات الكونية والتكنلوجية المتطورة ، التي تتفاعل سلباً أو ايجاباً في حركتها الصراعية في المجتمع الدولي ، وهذا مايبرز الجانب التقني والمعلوماتي ضمن الموجات المتجددة للتطور التكنلوجي والتقني كفاعل مهم في تغيير استراتيجيات العمل السياسي بشقيه العنيف والناعم ، فضلاً عن ان الفضاء الالكتروني المفتوح ساحة بكر للاداء السياسي المرتبط بالهدف الاستراتيجي للدولة وبما يعبر عن قدرتها واجراءاتها المؤثرة على الخصم .

ان الفضاء الالكتروني المتسم بالانتشار الفائق والسيولة ، وقوامه شبكات الانترنيت ومئات الملايين من الاجهزة التي تربطها بالمؤسسات والشركات التي تقوم على هذه الشبكة وترتبط بها والخبرات التي يفرزها ، قد خلق واقعاً انسانياً جديداً ، يمثل تحديا للنظرية المعاصرة في العلاقات الدولية ، وكذلك على مستوى السياسات والممارسات .

تمثلت هذه التحديات في عناصر الوقت وقدرة التكنلوجيا على الاختراق والارتباط والتشبيك ، وهذا ما ادى لظهور السياسات الالكترونية ، ومثل هذا التطور يشير الى التداخل بين واقعين ، يتمثل الاول : في السياسة بمفهوم القوة القادرة على احداث التأثير بين الفواعل ، أي تحديد من يملك القدرة على اتخاذ القرارات التي تعبر عن ارادته وحدود هذه القدرة ، والثاني : يشير الى مجال جديد من التفاعلات في المجال الانساني بكل ما تحمله من شروط وتنافس[2] .

ان استكشاف اوجه تأثير السياسات الالكترونية الصاعدة في العلاقات الدولية والبدائل المستقبلية لهذا التأثير ، مع السعي الى وضع اسس نظرية علاقات دولية جديدة نابعة من القضايا التي يطرحها الفضاء الالكتروني ، امور باتت تهم جميع المعنيين ، لان ذلك له اوجه متعددة في

---

[1] – امريكا والصين تتفقان على حماية الفضاء الالكتروني ، صحيفة الصباح – بغداد ، العدد (٢٨٠٠) في ٢٠١٣/٤/١٥ .

[2] – in International Relations , Cambridge MIT press 2012 , p:116 Nazli choucri , cyber politics

حقـل السياسـةالدولية في اشـكاله الصـراعية او التعاونيـة ، ومستكشـفات الاطـار المسـتقبلي لهـذه العلاقات ، مع مراعاة الانتقالات المعرفية المتجددة .

ان اجهزة الحاسوب المرتبطة بالاقمار الصناعية ، والموصولة بشبكة الانترنيت التفاعلية ، بامكانها ان تؤثر وتعطل وتعيق الكثير من الاجراءات والاشكال التنفيذية عند الخصم او المنافس ، وان حصـول ذلـك معنـاه ان مـن يمتلـك القـدرة علـى التعامـل مـع الجديـد في سـاحة الفضـاء الالكـتروني، يضـيف لرصيده السياسـي والمعنوي الشـيء الكثير والمؤثر في الاجـراءات المقابلة الـتي يقدم عليها المنافس[1] اي بمعنى اخر، ان شكل ومضمون العلاقات الدولية، قد باتـت ملزمـة ان تتكيف مع الجديد من اشكال القوة الضاغطة على ادائها السياسي.

ان تطـور اسـتخدام الفضـاء الالكـتروني بكافـة امكاناتـه، مـن خـلال تنويـع وحسـن استخدام وسـائل ثورة المعلومـات في الوقـت الحاضـر، يشـكل ركنـاً مهمـاً ومؤثـراً علـى قـدرة الفاعـل وامكاناته التي يستخدمها، والتي تمكنه من تمرير او قبول بعض او—كل— مشاريعه السياسية التي قد تتطابق مع الفاعلين، مع ضرورة فحص وتدقيق ادواته المستخدمة مع مايحيط بتلك القـدرة مـن مناخ سياسي دولي ملائم، وهذا يستلزم وجود قيادات خلاقة قادرة على صنع السياسـات ولـيس تنفيذها فقط.

فوقائع الثورة العلمية التقنية وثورة الاتصالات والمواصلات وتكنلوجيا الاعلام والمعلومات والطفـرة الرقميـة "الـديجيتال" ومـا انجزتـه البشـرية مـن علـوم وتقـدم وعمـران وجمـال وابـداع وحداثـة، يستوجب على ابناء العصر ان يتكيفوا مع ما يقدمه لغرض استثمار تلك العطاءات العلمية بما يخدم الحياة البشرية[2] . والفضاء الالكتروني وبحكم عصر الحداثة له اكثر من تأثير في طبيعة ومسار العلاقات الدولية، كونه قرب المسافات وتداخل في الانماط الحياتية التي يعيشها المجتمع الدولي، ازاء مايقدمـه مـن خدمـة سـهلة ورخيصـة للمتـداولين، دون ان ننسـى ان حجابـات السـتار والتخنـدق والانفرادية لم تعـد ممكنـة في هـذا العصـر العـولمي بحكـم تـداخل الحاجـات الانسـانية مـع بعضـها،

1 – Jeffrey A.Bader, op.cit,p: 126

٢ – سالم توفيق النجيفي ، اقتصاد العولمة : مقاربات اقتصادية للرأسمالية ومابعدها ، دار النفائس للطباعة والنشر ، بيروت ٢٠١٠ ، ص : ١٣٤ .

حيث ادرك العالم اهمية الاتصالات وتكنلوجيا المعلومات ودورها في تطوير المجتمعات ، وتحسين واقعها الاقتصادي والعلمي والثقافي والصحي ، حيث شهد العالم تحولاً كبيراً وملحوظاً في تقنية المعلومات . وما يميز السنوات الاخيرة التطور السريع في هذه المجالات حتى انها اصبحت مقياساً لتقدم الامم والمجتمعات في مختلف ارجاء العالم ، الامر الذي دفع الكثير من الدول لوضع خطط وبرامج استراتيجية لتطوير واقع الاتصالات والتقنيات الحديثة بالاعتماد على الكفاءات المحلية وخبرات الدول المتقدمة باللحاق بركب العالم المتطور[١] .

ان العلاقة بين الواقع الافتراضي والواقع الحركي للنظام الدولي ، يدفع من يمتلك القدرة الى التوجه نحو الاستقطاب الالكتروني ، كونه نمطاً جديداً لتفاعلات العلاقات الدولية ، من قبيل كثافة الولوج الى الفضاء الالكتروني والى أي مدى تتوافق النظرة الالكترونية للنظام الدولي مع المنظور الواقعي الحركي لهذا النظام [٢] .

هذه الوضعية الهادفة للتوافق ، اشرت ان صراعات الفضاء الالكتروني على المستوى الدولي ، يمكن ان تنقسم الى الاشكال الاتية :

الاول: يدور حول التحكم في الفضاء الالكتروني الدولي .

الثاني : حول تحويل القوة الافتراضية الى مميزات استراتيجية .

الثالث : متعلق بالصراعات الالكترونية التي تهدد الأمن القومي للدول ذات السيادة [٣] .

وهنا تبرز ظواهر جديدة مثل عسكرة الفضاء الالكتروني وشن الحرب الالكترونية والاخطار الالكترونية على البنية التحتية للدولة . لاسيما وان الدول القادرة والمتمكنة تقنياً توجهت نحو الاستثمار في هذا الجانب ، تحسباً واستباقاً من مخططات الاخرين . ولعل في مافعلته الولايات المتحدة في اطلاقها المركبة التي تحمل اسم " X-37 Bo TV " في ابريل / نيسان ٢٠١٠ ، يشكل جزء من مشروع لعمليات عسكرية في الفضاء او لعسكرة الفضاء حيث ان

١ – فرانشيسكو خافير كاريللو " محرر " مدن المعرفة : المداخل والخبرات والرؤى ، ترجمة خالد علي يوسف ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، عالم المعرفة ، الكويت ٢٠١١ ، ص : ١٧٢ .

2 – **Nazli choucri , op. cit, p: 194**

3 – **op. cit, p:208**

هذه المركبة ،كما يشير المختصون بهذا الشأن، بامكانها ان تسقط الاقمار الاصطناعية المعادية من خلال ماتملكه من قدرات جديدة ، او ان تكون أداة قادرة للرد السريع ضد الخصوم ، فضلاً عما تتصف به من مناورة جيدة واستثنائية ، مما يجنبها امكانية اسقاطها من خلال انظمة الصواريخ الموجهة [١] .

هذه الظواهر في مجملها ، تعد انقلاباً في موازين العلاقات الدولية ، اذ كثيراً مارأت ان التكنلوجيا وما يتعلق بها من ظواهر اتصالية من السياسات الدنيا ، باتت ازاء مايحصل وينفذ ، تهدد السياسات العليا للدول ، لاسيما بعد اتساع مراكز اتخاذ القرار فيه لتتجاوزها وتشمل مؤسسات وهيئات من غير الدول . والاكيد ان تعدد الفاعلين الدوليين وتنوعهم ، قد خلق حالة من تغيير قواعد اللعبة الدولية من اجل حيازة القوة وممارستها [٢] .

ومع كل ما يحدث من تغيرات عميقة ، فما زالت الدولة رغم كل تداخلات العولمة وتغيرات الواقع الدولي ، أهم الفواعل في متساويات تحليل الواقع الدولي . ففضلاً عن عناصر القوة التقليدية المتمثلة في القدرات الاقتصادية والعسكرية والموارد والسكان ، اصبحت القوة التكنلوجية احد عوامل مضاعفة قوة وفاعلية الدولة في النظام الدولي . والدول التي تحسن دمج هذه القوة الذكية في اجهزة الدولة واستخدامها في تفعيل وجودها على الساحة الدولية ، فضلاً عن الاستفادة من موارد العالم ، تصبح بهذه الامكانية قادرة على رعاية مصالحها واهدافها بعيداً عن المتسللين او المنافسين [٣] .

ومن الامور ذات الدلالة ، ان الفضاء الالكتروني ، عمل على تقوية فاعلية الفرد في مواجهة الدولة ، حيث وصلت هذه الفاعلية التي تقوم اساساً على اتاحة وصول الافراد الى المعلومات والمعرفة الى الدرجة التي لايمكن للدولة تجاهلها . فقد وضعت تكنلوجيا الافراد الاعتياديين من المستخدمين في وضع من يستطيع خلق شبكات متجاوزة للدول والقوميات ، وهو

---

[١] – ايمن حسن، هل بدأت امريكا عسكرة الفضاء، مجلة العربي– الكويت، العدد (٦٢٠) يوليو ٢٠١٠، ملحق العربي العلمي، ص: ٥.

[2] – Nazli choucri, op. cit,p: 231

[3] – Robert Mandel,global security Upheaval, California : Stand ford University press 2013 , p: 96

ما ادى الى مراكمة عناصر القوة التي حازها الافراد ، وهذا مايستوجب على منظري العلاقات الدولية ، الاهتمام بشكل كبير بالفرد كمستوى تحليلي اكثر مما هو في النظرية التقليدية [١] .

لقد اصبح الفاعلون من غير الدول ، يؤدون دوراً مؤثراً في سياسات الدول الامنية ، الداخلية والخارجية ، وهذا متأت من الفيض التقني المتطور للعلوم وما قدمته من تسهيلات في التشارك والتفاعل في رفد وتعزيز الاطار الاستراتيجي لبلدانهم ، الامر الذي يستوجب فهماً اعمق لسلوك الجماعات والفاعلين من غير الدول ، وعلاقة هذا السلوك بالاستقرار على المستويا ت الوطنية والعالمية [٢]. دون ان ينسينا ذلك، ان هناك خطراً جسيماً قد يسببه الافراد حينما يسلكون مسلك التخريب والعنف والمشاكسة ضد البنى التحتية لأي بلد تحت هذه الحجة او تلك، دون ان يعفيهم ذلك السلوك من الملاحقة والعواقب إذا اتم اكتشافهم . وهذا بدون شك يؤثر في العلاقات الدولية ، خشية انزلاق مايحصل لتفجير حروب عسكرية في مناطق عدة ، بسبب غياب التفاهم المشترك والقواعد الضرورية لتنظيم هذه الانشطة وتوجهها بما يخدم الانسان ومشروعه الحياتي [٣].

لقد اصبح استقرار النظام الدولي اكثر اعتمادية على الممارسات التي يقوم بها الفاعلون، حتى ولو كانوا من الافراد من خلال الفضاء الالكتروني . وعليه فإن مفهومي "الاستمرارية والتلاقي "اصبحا حاكمين لتفاعلات النظام الدولي بعد صعود قوة الفضاء الالكتروني في فاعلياته. والمطلوب في هذا الجانب تدعيم هذين المبدأين، خاصة في حالة الدول النامية ، التي رغم دمجها في النظام المعلوماتي الكوني ، فإنها ماتزال تجد صعوبات وعقبات في الوصول الى المعلومات وتحويلها الى موارد قوة وفاعلية.

المحور الثالث :– التأثيرات والانعكاسات المتحصلة

منطقة الشرق الاوسط ، مهمة جداً في سلم الاستراتيجيات الدولية ، ليس الآن ، بل منذ ان اتخذ الصراع الدولي بين الدول قدرته على التأثير في المحيط الخارجي لسلطته . فهذه المنطقة

١ – **د. حميد حمد السعدون ، الحرب ....، مصدر سابق ، ص : ٤ .**

2 – **Robert Mandel, op. cit, p: 129**

٣ – **د. حميد حمد السعدون ، الحرب .... ، مصدر سابق ، ص : ٥ .**

كانت في تاريخها القديم ، مسرحاً لصراعات الاقوياء من الامبراطوريات والدول ، وبالشكل الذي جعلها كتلة ترجيحية لمن يستطيع ان يمسك بقلاعها النشطة تأثيراً وفعلاً ، مما مكن القادر منهم ان يتسيد في زمانه. فهذه المنطقة بقدر اهميتها الجيو — ستراتيجية ، فأنها بالقدر ذاته ، خزان العالم الكبير من الثروة النفطية التي يحتاجها الجميع الان وفي المستقبل ، فضلاً عن كونها منطقة مليئة بالعقائد والاديان والمذاهب والقوميات والطموحات والمطامع ، مما جعلها مرجلاً فواراً في كل وقت ، الامر الذي يمنحها التأثير بطريقة حاسمة في مجمل صراعات الاقوياء ، وهذا ما اضفى مستوىً عالياً من اشكال ادارة الصراع ومستوياته على الصعد كافة .

الشرق الاوسط والفضاء الالكتروني

تشهد منطقتنا العربية خصوصاً ومنطقة الشرق الاوسط بالشكل الاعم ، اندفاعات ومتباينات مختلفة ومتعددة ، تؤثر بشكل كبير في قراءة مايحدث في المنطقة من تغييرات بعضها عميق وذو تأثير مستقبلي . وفيما يخص شكل التعامل مع دول المنطقة مع الفضاء الالكتروني فان الأمر اخذ مهمتين متقاطعتين مع بعضهما :

الاول : الرغبة الكبيرة في التعامل مع هذه التقنية وما تقدمه من خدمات لغرض التطور والتقدم ، والتعامل مع الجديد من العلم .

الثاني : تحصين الجدار الوطني من اشتباكات الاختراق والتسلل الذي تتعرض له دول المنطقة من دول ذات امكانات تقنية عالية بحكم الاختلاف السياسي المعبر عنه بسلوكيات سياسية مطبقة على الارض[1].

ولقد تداخلت المهمتين مع بعضهما ، وبما يدفع الاضرار أو يقللها عن الاداء السياسي والاقتصادي والعسكري والعلمي لدول المنطقة ، مما استوجب اطارات متجددة لهذه الحرب التي تتطور اساليبها بشكل سريع ومتجدد ، لاسيما وان هذه المنطقة شهدت حروباً متعددة ، مما جعلها اشبه بالمختبر للجديد من هذا العلم . فقد اطلقت حرب عاصفة الصحراء عام ١٩٩١ ، الثورة في التقانة العسكرية ، محدثة نتائج هائلة في مجرى الحروب وفي التوظيف الاستراتيجي الداعم

١ – د.حميد حمد السعدون، التنمية السياسية والتحديث "العالم الثالث"، الذاكرة للنشر والتوزيع، عمان ٢٠١١، ص: ١٣٦.

لسياسات الدول [١] . ويشير احد القادة الميدانيين ممن اختبروا في ميدان المعركة في الشرق الاوسط الى ان عصر "الاختراقات في التقانة العالية تضاعف بسرعة...ومع نضج عصر المعرفة في العالم، صار مفهوم " فضاء المعركة حقيقة واقعية " [٢] .

ولأن الولايات المتحدة الامريكية، اكثر الدول المعنية بمنطقة الشرق الاوسط لثرواتها وموقعها الجيو—ستراتيجي، فضلاً عن حماية وأمن "اسرائيل" فقد دأبت على التداخل في كل شؤون المنطقة، تعويقاً وتعطيلاً واختراقاً، بل وفي شن الحروب اذا فشلت اساليبها الاخرى، مثلما حصل في عدوانها على العراق عام ٢٠٠٣. فقد اوكلت الادارة السياسية العليا الامريكية "NSA مهمة الاطلالة الدقيقة على مايحدث في المنطقة من تطور وتقدم في هذا الشأن، والتي تزايد اهتمامها بهذا النشاط في المجمع الاستخباري الامريكي بعد الحرب الباردة ، بسبب طبيعة التطورات التقنية والالكترونية التي باتت جزءاً اساسياً من مهام الوكالة التي تؤدي دوراً استراتيجيا في موضوع الأمن القومي الامريكي ، من خلال طبيعة مايسمى بالارهاب الالكتروني القائم على اساس تشويش المعلومات والنظم التي تؤثر بشكل كبير على الانظمة المعلوماتية ، إذ ان اختراق بعض البيانات والقواعد المعلوماتية وافسادها ، يؤثر على الهيكل التنظيمي الذي تقوم عليه المؤسسات الامريكية في هذا الجانب ، مما يدعو الى توصيفه بالتهديد ، وهو مايجعل من الوكالة ذات اهمية كبيرة في هذا الشأن [٣] .

فالمنطقة ومنذ انتهاء الحرب الباردة ، دخلت مرحلة الحرب الالكترونية ، التي دشنتها الولايات المتحدة اولاً ضد العراق في حرب عام ١٩٩١ ، ومن ثم في فترة الحصار التي امتدت اكثرمن (١٢) عاماً والتي ادت فيها فرق التفتيش الدولية دورا فاعلا" ومؤثرا" في اختراق كامل المنظومة السيادية العراقية بتقنياتها المتطورة واجهزتها الحساسة والدقيقة .ومن ثم ثنتها ضد ايران ،

---

[1] – Colin S.Gary, strategy for chaos : Revolutions in Military Affairs and the Evidence of History, with a Foreword by Williamson Murray, London, Portland OR : Frank cass 2003 , p: 192

[٢] – الجنرال تومي فرانكس،جندي امريكي، ط١، نقله الى العربية محمد محمود التوبه، العبيكان، الرياض ٢٠٠٦، ص: ٢٣٩.

[٣] – توماس كوبلاند " محرر " ثورة المعلومات والأمن القومي ، سلسلة دراسات عالمية ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، العدد (٤٦) ، ابوظبي ٢٠٠٣ ، ص : ٩٤ .

وبمعونـة " اسـرائيلية" واضـحة، ممـا جعـل مـن فضـاء المنطقـة مسـرحاً لحـروب الكترونيـة متواصـلة ومتجددة.

فهذه الحرب التي يراها البعض العاباً الكترونية بين طرفين او اكثر من خلال جهاز الفارة "Mouse" باتـت في الحقيقـة امراً واقعيـاً وملموسـاً لاسيما بعـد ان هجمـت فيروسـات امثـال "Stuxnet" و"Flem' على العديد من المصارف ، ثم طالت منشآت نووية ايرانية وشركات نفط سعودية وقطرية [1]، مما سبب ارباكاً وتعطيلاً وتلفاً لكل من طاله هذا الفيروس .

وفايروس " Stuxnet " قطعة من الرموز المؤذية الخبيثة بشكل لم يسبق له مثيل حيث بامكانه شن الهجمات على ثلاث مراحل او اطوار ، ففي المرحلة الاولى يستهدف الالات العاملة على نظام "Micro soft windos" وشبكاتها بحيث يدفعها ان تقوم بالتكرار لاعادة نسخ ذاتها ثم تتوجه الى برنامج " semens step 7 " الذي اساسه " Windos " ايضاً والذي يستخدم نظم التحكم الصناعية البرمجية التي تشغل المعدات كاجهزة الطرد المركزي ثم يقوم اخيراً بالمساس بالمتحكمات المنطقية المبرمجة [2] .

بهـذا الـتحكم التكـاملي والمتبـادل تمكـن مخترعـو هـذا الفـيروس مـن التجسـس علـى المنظومات الصناعية ، وحتى التسبب في جعل اجهزة الطرد المركزي سريعة الدوران ، مما يدفعها ان تمزق ذاتهـا. حيـث بمقـدور هـذا الفـيروس الانتشـار بخفـة بـين اجهـزة الكمبيـوتر الـتي تشـغل " Windos " حتى ولو كانت غير موصولة بالانترنيت ، فاذا قام احد العمال بوضع شريحة " ups " داخل الة لاصابها بعدوى هذا الفيروس مما مكنه من الانتشار داخلها ، ومن ثم الى الالة التالية التي يمكنها قراءة ماهو موجود داخل شريحة " ups " . ولأنه بمقدور اي احد اصابة مثل هـذه الالات بهـذه الوسيلة مـن دون اثـارة اي شـكوك او شـبهات فـان امكانيـة انتشـارها داخـل الشبكات المحلية امر متاح وسريع التحقيق [3] وقد انتبهـت ايران لامكانـات الفضـاء الالكتروني

[1] – **ديانـا مقلـد ، الحـرب الالكترونيـة .... جهـة جديـدة ، صـحيفة الشـرق الاوسـط . لنـدن ، العـدد (١٢٣٩٩) فـي ٢٠١٢/١١/٨ .**

[2] – **ستكسنيت .... قصـة الدودة الالكترونيـة المخربـة للمشروع النووي الايراني ، صحيفة الشرق الاوسط ، لندن ، العدد (١٢٥٤١) في ٢٠١٣/٣/٣٠ .**

[3] – **المصدر السابق .**

ووعت مخاطره واهميته عام ٢٠٠٩ حينما استخدم محتجون مناهضون للحكومة خدمة " الانترنيت " لتنظيم الاحتجاجات ضد نتائج الانتخابات الرئاسية التي اوصلت " محمود احمدي نجاد " لسدة الرئاسة . ومنذ ذلك التاريخ اوكل للحرس الثوري الايراني مسؤولية هذا الامر من خلال مراقبة الانترنيت وحجب بعض المواقع وتعطيل اخريات ، لاسيما وان الموارد المالية المخصصه لهذه الحرب كانت كبيرة وبدعم من اعلى السلطات .

ان الفضاء الالكتروني هو المجال الذي ستتحرك صوبه المواجهة . فطهران تجده حافظة اساسية في ترصين الامن الوطني ودفاع صد امام المتسللين على خصوصياتها ، لاسيما وان الطبيعة المتداولة عن النظام السياسي تركن الى السرية والتخفي والانكار عن كل مايراه الاخرون تسللاً او تداخلاً او تعويقاً[١] . ولذلك فقد باتت الاجراءات الايرانية في هذا الجانب متسارعة مع ماتتصف به من توجس وقلق وارتياب بما يحصل بالضد منها ، خشية انكشافها لخصومها .

اما اسرائيل ولكونها كياناً استيطانياً مزروعاً بالمنطقة على حساب شعوب اخرى ، مع ماتتصف به من عدوانية منفلته ، فانها تجد نفسها في حرب متعددة الاشكال مع المحيط العربي الاسلامي، الامر الذي يدفعها ان تكون طرفاً فاعلاً في المبادرة لشل وتعطيل قدرات الاخرين المعادين لها . وقد اكد خبراء عالميون في مجال المعلوماتية بانهم يعتقدون ان الاستخبارات الامريكية وبالتعاون مع الاستخبارات الاسرائيلية هي التي طورت فيروسي " stuxnet " و " flem " واللذان هوجمت بهما ايران في الكثير من مفاصل شبكتها الوطنية ومواقعها الحساسة ، لاسيما العسكرية والنووية والنفطية ، وقال هؤلاء ان الفيروسات صارت اقوى سلاح في هذه الحرب التي اعلنتها الحكومة الامريكية ضد ايران . كما لم يعد سراً حجم وعمق التعاون الامريكي–الاسرائيلي في هذه الحرب لأن بعض الخصائص المشتركة بين "stuxnet" و "flem" توحي بان الدولة التي وراء " stuxnet " هي ايضاً وراء " flem " ، لأنه من الممكن استخدام فيروسين يعملان على البرنامج نفسه، لكن باستخدام نهجين مختلفين [٢] .

[١] – حميد حمد السعدون ، الحرب .... ، صدر سابق ، ص ٢ .

[٢] – محمد علي صالح، التحقيق مع جنرال امريكي متقاعد في قضية الحرب الالكترونية ضد ايران، صحيفة الشرق الاوسط، لندن ، العدد (١٢٦٣٢) في ٢٠١٣/٦/٢٩ .

وقد تبادلت الاطراف الداخلة في هذه الحرب ، انماطاً من الهجوم المضاد ضد بعضها ، حيث تعرضت الكثير من المواقع " الاسرائيلية " الالكترونية ، الى العديد من الهجمات المنسقة التي استهدفت تعطيل او اختراق الكثير من المؤسسات الرسمية الاسرائيلية رداً على ماكانت تقوم به من دفعات هجومية مصممة ضد الاطراف الاخرى ، وفي المقدمة من ذلك ايران ، وقد تبنت تلك الاختراقات مجموعة القرصنة الالكترونية " انونيموس " التي اشارت الى انها ستكرر محاولاتها في اي وقت تراه مناسباً للاختراق[١] .

ان الحرب الالكترونية التي تمارسها " اسرائيل " ضد عموم بلدان المنطقة ، استهدفت حتى في جوانبها العسكرية بلداناً مثل "مصر، سوريا، الاردن، العراق ، السعودية، تركيا، .... الخ " غايتها في ذلك تحصين قدراتها الالكترونية ، تحسباً من اي طارىء يعرض اوضاعها الى الخطر . وهي في هذا الاندفاع تطبق مايسمى بمفهوم الحرب الاستباقية ، مستندة في ذلك الى ما تتمتع به من قدرة علمية ومعلوماتية متقدمة قياساً الى مايمتلكه الآخرون في المنطقة .

فاسرائيل ومعها الولايات المتحدة الامريكية ، تخشى من التقدم السريع الذي تحققه ايران والاطراف الشرق اوسطية الاخرى في مجال الحرب الالكترونية بشقيها الهجومي والدفاعي ، ولذلك تجري مراقبة ما يحصل وتدقيق نتائجه بوصفه امراً اكثر من ضروري لها ، كونه يتيح الوصول الى مقاربات اقرب الى الدقة في قراءة مايخطط بالضد منها . مع تقديرنا ان الجميع يفضل خيار المجابهة الالكترونية كونها اقل تكلفة اقتصادياً وعسكرياً من الحرب التقليدية [٢] .

ان الاطراف الداخلة في هذه اللعبة ، تدرك جيداً ان الحرب الالكترونية هي اشتباك غير معلن ، بل انها تجري بصمت وهدوء ، .. فلا جبهات معلنة ولا اطراف تتبنى الهجمات ، لأن مايحصل لا تنظمه اتفاقيات معلنة او قواعد اشتباك جرى التعامل بها ، ولذلك ستظل هذه الحرب مستمرة ومتعددة الاغراض، ما دامت برامج الاطراف الداخلة فيها مختلفة ، وما دام العلم يقدم من الادوات ما يحرض على الاستمرار بالمواصلة .

---

١ – اسرائيل تتعرض لهجوم الكتروني ، صحيفة المدى – بغداد ، العدد (٢٧٦٩) في ٢٠١٣/٤/٨ .

٢ – حسن مظفر الرزو ، الجاهزية الالكترونية للبلدان العربية وانعكاساتها المحتملة على فرص تفعيل بيئة اقتصاد المعرفة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠١٢ ، ص : ٢١٦ .

كما ان القواعد الحاكمة في الفضاء الالكتروني، هي ابعد ماتكون عن الوضوح، بل ان مايحصل فيه اقرب الى الحرب الصامتة بين المتخاصمين، وهذا مايمنح اللاعبين فيه وفي مجاله، الانكار والنفي عن اية اضرار تقع على الطرف الآخر حتى وان كانت تمس الامن الوطني. مع تقديرنا، ان هذه التكنلوجيا تتجاوز الى حد بعيد المناقشات المفتوحة بشأن استخدامها باشكالها المعروفة، وحصول ذلك يتيح للدول في الوقت الراهن ان لاتضع على نفسها قيوداً كثيرة في الفضاء الالكتروني، وهذا امر يشكل خطورة كون تداعياته ونتائجه قد تفضي لنزاع يصل الى حد "الحرب" لكنها وللمفارقة حرب لاتعلن عن نفسها ونادراً ماتكون مرئية لكنها مستمرة بشكل فعال [1] .

يضاف الى ذلك ان هذه الحرب الصامتة والافتراضية تنطوي على درجة من الضغائن ومن انعدام في اخلاق النزاع ، يشعر حيالها المرء بان الدول فيها تكشف عن ضغائنها على نحو اسهل ، لعدم وجود حسيب او رقيب يسجل ذلك . فالقاتل الافتراضي كما الضحية الافتراضية هو مما لاتعلن عنه الدول، اي لا اعتراف بحجم الخسائر ولا رغبة في كشف النية ، وفي ذلك مخاطر جمة على مستوى العلاقات الدولية والمجتمع الدولي ، كون المهاجم والمتعرض للهجوم ادوات صماء ، بامكانها ان تخرب وتدمر المقابل دون رادع من ضمير او اخلاق .

الخاتمة :

ان الفضاء الالكتروني قدرة مؤثرة ورخيصة الاستعمال ، الامر الذي اتاح للجميع الاستفادة من وسائل الاتصال المتعددة لكسر احتكار النظام السياسي – اي نظام – لهذه الامكانية ، وتوظيف ما يتحصل تحت يديها بما يديم زخم مطالبها وبما يحقق التغيير المنشود وهذا ما مارسته الدول المختلفة ضد بعضها ، غايتها في ذلك الاطلالة الواسعة على مايخطط وينفذ ضد سياساتها وبرامجها .

فالمواجهة الالكترونية وبحكم التطور الهائل في مجال الاتصالات والمواصلات وما يقدمه العلم من جديد ، ستكون في قلب الكثير من النزاعات الدولية والمنافسات لسنوات قادمة ، بل ان البعض من المهتمين في هذا الشأن يتخوفون ان تفسد النزاعات الالكترونية العلاقات الدولية

[1] – جمال سند السويدي ، مصدر سابق ، ص : ١١٤ .

وتفجر حروباً عسكرية في مناطق عدة ، بسبب غياب التفاهم المشترك والقواعد الضرورية لتنظيم هذه الانشطة بما يخدم الانسان ومشروعه الحياتي .

كما ان الولوج المتزايد للفضاء الالكتروني ، قد مكن اصواتاً جديدة من التواصل وان يكون لها موقع على الشبكات العالمية ، لاسيما وانها سهلت تطوير محتوى ومعرفة بشرية جديدة ووفرت ساحات جديدة لمطالب جماعية بحل ازمات ومشكلات انسانية مشتركة من ناحية ، ومن ناحية اخرى ساعدت المؤسسات الدولية على الاستجابة لهذه الازمات وتفحص محتوياتها ، بما يمكنها من ان تكون عنصرا" فاعلا" في الحل ام في التهدئة.

ان اتساع استخدام الفضاء الالكتروني وهيمنته على التفاعلات الانسانية ، ستتعمق اكثر ، مما يدفع حقل نظرية العلاقات الدولية لمتابعة جديدة تستجيب للكثير من امال الشعوب ، وبما يمكنها من ان تكون قادرة على الاستجابة لفاعلية وحركية المجتمع الدولي والتكيف مع الجديد الذي يقدمه العلم والمعرفة توافقا" مع رغبات الشعوب وامانيها .

The use of the electronic domain and its impact on the international relations: middle east as a case study

professor:
Hameed Hamad Al- Sa'adun

Abstract

The electronic domain is a new form of power which enables its user to use in the international relations in a way that garentees his interests and national security. It also makes him one of the main actors in the competative and conflicting community of nations, especially this domain is knoweledge that is not accessable except for the one who controlles it.